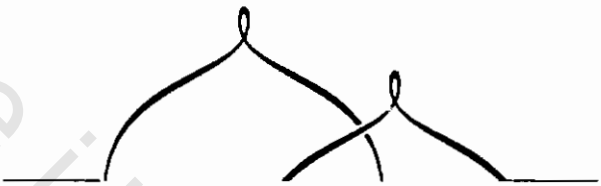

الصـــراع بين العربية والإنجليزية في نيجيريا

كـفى العـرب شرفـا أنهم أقـرب النـاس انتسـابًا لرسول الله ﷺ وكفـاهم فخرا أن لهجـتهم أقرب لسانًا لكتاب الله.

وكـفاهم تكاثـرًا أن كل من تكلم بالعـربية صـار عربياً.

obeikandl.com

obeikandl.com

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

مكانة العربية في نيجيريا قبل الاستعمار

اللغة العربية:

إحدى اللغات السامية حسب الرأى القديم في تقسيم الأنساب واللغات وكانت أخت العبرانية والسريانية.

ولما جاء الإسلام ونزل بها القرآن سما قدرها وارتفع شأنها وكثر سوادها، وصارت لغة حية على حين أن ماتت أخواتها، أحياها الإسلام والقرآن فأصبحت موجودة كلما وجد الإسلام، وحيث تمكن الإسلام من الحكم صارت العربية لغة الدولة ولغة الكتابة والقراءة ولغة التعليم والتربية ولغة التاريخ والتشريع.

كذلك كانت في غرب أفريقيا عمومًا منذ الفتح الإسلامي بالقرن العاشر الميلادي حتى الاستعمار الأوربي في أواسط القرن التاسع عشر الميلادي.

ومن هنا قام الصراع بين العربية والإنجليزية في نيجيريا، وبلغ الصراع أشده فنادت العربية أنصارها ولم يستجب لها أحد، فبدأت تدافع عن نفسها بكل قواها، فقالت أنصارها: إذا استطاعت أن تنتصر على عدوها فمرحبا بها، وإن لم تنتصر فعليها السلام.

زعموا أن العربية صارت لغة الماضي والإنجليزية لغة الحاضر لأنها لغة الحضارة والاختراع والاكتشاف.

وجدت الإنجليزية أنصارا ثلاثة

أولهم: التبشير الذي يركب الصعب والذلول في نشر الإنجيل بلغة الإنجليز وإغداق الرزق على من يحب الإنجليزية ومن لا يحبها.

ثانيهم: الاستعمار الذي يرفع قدر من يعرف الإنجليزية، ويرسله إلى إنجلترا ليعود إلى بلاده حاكمًا أو موظفًا عاليًا أو مديرًا.

ثالثهم: أنصار العربية الذين انضموا إلى موكب الإنجليزية يسبحون بحمدها ويقدسون لمجدها، وينظرون بعين الاحتقار إلى من لا يعرفها، ويحسبونه نصف إنسان ونصف حيوان.

وكان المتقدمون من علماءنا يعتقدون أن العربية جزء من الدين، وعلى الداعية الإسلامي والعالم الرباني أن يضحي ويتفانى في نشرها كما يفعل المبشرون، كما أن على رؤساء الدول والحكومات والملوك والأمراء أن ينفقوا كل ما يملكون في إحياءها وإنعاشها، وعليه قال

الثعالبي: «من أحب الله تعالى أحب رسوله محمداً، ومن أحب الرسول أحب العرب ومن أحب العرب أحب العربية التي بها نزل، أفضل الكتب على أفضل العجم والعرب، ومن أحب العربية عني بها وثابر عليها وصرف همته إليها»[1].

ومن هداه الله للإسلام وشرح صدره للإيمان وآتاه حسن سريرة فيه اعتقد أن محمداً خير الرسل والإسلام خير الملل والعرب خير الأمم والعربية خير اللغات والألسنة، وأن الإقبال على تفهمها من الديانة أذهى أداة العلم، ومفتاح التفقه في الدين وسبب إصلاح المعاش والمعاد. اهـ.

وعمل على هذا الأساس علماؤنا الأقدمون فانتشرت بها العربية وتغلبت على عدة لغات في آسيا وأفريقيا، وكان عدد الناطقين قبل الإسلام لا يتجاوزون مليونًا واحدًا، ثم صاروا عدة ملايين بفضل الإسلام، كمثل ما صارت أخيرًا اللغات الأوربية.

فالإنجليزية:

كان عدد الناطقين بها في الجزر البريطانية بمطلع هذا القرن نحو (٤٠) مليونًا، فانتشرت حتى بلغ عدد الناطقين بها نحو ستمائة مليون قبل انتصاف القرن العشرين.

(١) فقه اللغة ص ٣ من المقدمة.

فالفرنسية:

كان عدد الناطقين بالفرنسية في موطنهم الأصلي نحو (٣٠) مليونًا، ثم صار الناطقون بها في العالم أكثر من ستمائة مليون[١].

اللغة العربية:

فاللغة العربية التي بلغ الناطقون بها من العرب نحو (٨٠) مليونًا بمطلع القرن العشرين، وأخيرًا زاد عددهم على مائة وعشر مليونًا اليوم من العرب، وكان عدد المسلمين الذين تأثروا بها نحو (ثمانمائة مليون اليوم أو ألف مليون).

•••

(١) نقلا مع التصرف اليسير عن نشأة اللغة عند الإنسان والطفل للدكتور علي عبد الواحد وافي في عدة صفحات وأبواب من الكتاب.

كيف بدأ الصراع بين اللغتين؟

في منتصف القرن التاسع عشر الميلادي، أغار المبشرون بخيلهم ورجلهم على بلاد نيجيريا شمالا وجنوبًا.

فوقف المسلمون لهم على الباب وتصدوهم بالمرصاد، خصوصًا في الشمال، ولكنهم بالجنوب وجدوا مجالا واسعًا لا حجر فيه فمدوا فيه رواقهم وارفة الظلال، رغم أنهم وجدوا في أكثر المدن الجنوبية مدارس قرآنية في دهاليز المساجد وبيوت العلماء، لكنها كانت حيلولة لهم في الشمال.

حيث لم يجدوا إقبالا عظيمًا من أبناء المسلمين في إغراءهم على تعلم الإنجليزية، فوقعوا في الأوساط الوثنية وفي القرى الريفية، فاقتنصوا عددًا من أبناء الفقراء والفلاحين، بتأثير دعاياتهم المغرضة المعززة بالثروات، فنجحوا على قاعدة الأثر القائل: «إذا ذهب الفقر إلى بلد قال الكفر خذني معك».

فضاعت من هؤلاء الفقراء عقيدتهم الإسلامية، واستبدلوها بالنصرانية، إلا قليلا منهم في الشمال والجنوب.

لذلك قام حماة الإسلام ينصحون المسلمين ليأخذوا حذرهم من الوقوع

في حبائل التبشير، فتقهقر الأكثرون من إدخال أبناءهم في مدارس التبشير، على حين أن المدارس الحكومية غير التبشيرية لا تزال قليلة أو عديمة الوجود.

وفي هذه الآونة جاء إلى نيجيريا بعض العرب المغاربة كالشريف عبد الكريم مرادى ومحمد مصطفى الشامى من العرب المشارقة، فأسسوا جمعيات إسلامية ومدارس عربية.

كما جاء عام ١٨٩٣م مستشرق إنجليزى من جزر الهند الغربية اسمه الدكتور «ويلمت بليدن» كان صديقًا لسلطان «تركيا»، وكان يجيد العربية والتركية إلى جانب لغته الإنجليزية، وكان قد عمل مديراً للمعارف في بلاد «سيراليون» ولما نزل نيجيريا أدرك المسلمين في تأخر وتخلف بعيد في ميدان التعليم الإنجليزى، فسألهم عن السبب، فأجابوا أنهم يخافون من ضياع عقيدة أولادهم بدخول تلك المدارس، فأجابهم أن الخطب يسير والحل الوسط موجود.

فاتصل بالملكة (فكتوريا) ملكة إنجلترا في ذلك الوقت، فطلب فتح مدرسة خاصة لأبناء المسلمين، فوافقت الحكومة على ذلك في «لاغوس» بالجنوب، وفي «كانو» وغيرها في الشمال، فتولى نظارتها في لاغوس عالم اسمه «إدريس أنمشاهن»، وكانت المدرسة تسمى المدرسة الإسلامية الحكومية.

فبدأت المدرسة تؤدي رسالتها خير أداء حتى تخرج منها الفوج الأول، ثم عملت الشحناء عملها في نفس رجال الكنائس، فقاموا بالاحتجاجات والاعتراضات على ضرورة إسقاط كلمة إسلامية من اسم المدرسة، لتبقى مدرسة حكومية خالصة، فتم لهم ذلك، ومن هنا انتبه المسلمون بما يبيته لهم المسيحيون من شر، فعزموا على إنشاء الجمعيات الإسلامية، لتنشئ بدورها مدارس إسلامية على غرار ما للجمعيات التبشيرية، ولكن آفتها باتت نصف قرن واحد من الزمان لم تستطع أن تخرج من يعرف العربية إلى المستوى الابتدائي، لأن برامجها اليومية كانت مشغولة بالمواد الإنجليزية، ولم تجد لها نصيبًا كافيًا للحصص العربية والإسلامية.

والمدارس الحكومية أو التبشيرية كانت تكتفي بحصة الديانة يوميًا، وذلك إن كانت كافية للمسيحيين فليست كافية للمسلمين.

فسقط في أيدي المسلمين، وصاروا يقرعون سن الندامة وطلبوا مخرجًا من الأمر، فانتهى بهم الرأي إلى تأسيس مدارس مسائية، ولكن التلاميذ قد تعبوا من الصباح ورجعوا منهوكي القوى من أعمال المدارس الصباحية، وما يطلب إليه الأساتذة للغد، فلم تعش هذه المدارس المسائية طويلا حتى اختفت وطويت في سجل النسيان.

والمسلمون في الشمال ظلوا يرسلون أبناءهم إلى المدارس القرآنية حتى إذا أتموا قراءة القرآن حفظًا أو سردًا أرسلهم إلى المدارس الإنجليزية على

العربية، فجر العمل على ذلك ردحًا من الزمان، ولكن النتيجة أسفرت عن ضعف مستوى الطلاب في الإنجليزية فانقسم المتخرجون الشماليون من هذه المدارس على قسمين:

أحدهما: الذين تركوا الإنجليزية بتاتًا، فذهبوا يتعمقون في العربية فصاروا فيها أقوياء.

وثانيهما: الذين تركوا العربية بتاتًا، وتعمقوا في الإنجليزية فصاروا بها رجال الحكومة، والكل له ميدانه وغرسه الذي يؤتي ثماره كل حين بإذن ربه.

●●●

obeikandl.com

التقائي مع جماعة أنصار الدين في مناصرة العربية ما بين ١٩٤٨-١٩٥١م

إن جماعة أنصار الدين كبرى الجمعيات الإسلامية التي أنشئت سنة ١٨٩٠م، ولكنها اشتغلت بالسياسة فصدتها عن التعليم، فقام أبناء الأعضاء، وتحملوا ما كان قد تخلى عنه آباؤهم فأسسوا فرعا للجمعية باسم (شبان أنصار الدين)، وفتحوا مدرسة إسلامية عام ١٩٢٧م واستعانوا برجل عالم سوري بزاز اسمه «رفيق نجا» ليدير المدرسة وعاش معهم مدة ثم رجع لبلاده فاستعانوا بعالم سيراليوني اسمه «عمر سافيج» ولازمهم برهة، ثم جاء من (أبيكوتا) رجل آخر عالم اسمه «سراقة قبطان» كل ذلك على قصد الجمع بين العربية والإنجليزية، ولكنهم جميعًا لم ينجحوا في العربية كما نجحوا في نجاح الإنجليزية.

وأخيرًا جمع الله بيني وبينهم في أول عودتي من مصر عام ١٩٤٧م، فتشاورنا واتفقنا على إنشاء مدرسة مسائية لتعليم العربية بحتة دون مزجها بالإنجليزية، وتواعدوا على إجبار أولاد الجماعة لحضورها كل يوم فلازمتهم لذلك أربع سنوات.

ولكن عدم وجود بناء خاص للمدرسة وفتور همة الأبناء والآباء معا قوضت العزائم، وأعملت المعاول على المدرسة فخرت على نفسها من

القوعد، ثم عرضت عليهم فتح مركز خاص للتعليم العربي، فأرسلت الجمعية إلى الحكومة.

فما كان جواب الحكومة إلا أن قالت إنها لا تعنيها العربية وإنما تعني المسلمين، فلهم أن يجدوا طريقًا إليها بأنفسهم.

وكانت جماعة أنصار الدين تعتمد على الحكومة الإنجليزية، لإمدادها كل ما تحتاج إليها في شؤون التربية والتعليم، فصارت عزائمها فائرة وهمتها ناعسة ونيتها واعية.

ومن ذلك الحين رجعت إلى نفسي وتوكلت على ربي وعزمت على العمل ولو كنت وحدي.

●●●

ماذا يقول الناس حين بدأت هذا العمل؟

لقد تولدت فكرة إنشاء هذا المركز من تلك البواعث مجتمعة، بل منذ رجوعي من زيارة الأزهر عام ١٩٤٧م وحصولي على إجازة التدريس الخاصة عام ١٩٤٦م، فقصدت طائفة من تلاميذي الذين كانوا أعضاء أنصار الدين فرع (أبيكوتا) وعلى رأسهم محمد جمعة (بمبولا) والحاج محمد (توم على) والإمام (أفرأيتم) فطلبت منهم مساعدتى فساعدوا بما استطاعوا، ولكن فقدان تأييد (أم الجمعية) من لاغوس أضعف منهم عزائمهم فتراجعوا فتحملت العمل وحدي.

وكان قد تجاوب معي أخ لي، ليشارك في التدريس، ولازمني برهة ثم تراجع هو أيضًا بأسباب عديدة، منها قلة موارد المركز حينذاك، فأخذت العمل على عاتقي حتى استقام بإذن الله. فأصبح منبرا ينطلق منه صوت القرآن ومنارة يشع منها نور الإسلام إلى كافة الأرجاء، فظل الصديق ينتقد ويحسد على النجاح ويقول:

أولاً: لماذا قام هذا العمل على عاتق رجل واحد؟ ولم يقم على عواتق رجال كسائر المؤسسات؟ ولماذا لم يسلم إلى حكومة بلادنا؟

ثانيًا: لماذا اقتصر العمل على اللغة العربية ولم يأخذ معها اللغة الإنجليزية التي أصبحت ضرورية من ضروريات الحياة الحاضرة؟

ثالثًا: لماذا لم يجعل العمل تحت إدارة دولة من الدول العربية لترسل المدرسين والكتب وليجعل التعليم مجانا ليعم النفع جميع المسلمين؟ هذه النقاط ظاهرها رحمة باطنها حسد ونقمة.

ظللت أمضي قدمًا إلى الأمام في عملي، لا ألوي على شيء مما يقولون ولا أبالي بشيء مما يفعلون، وظلوا يضعون العقبات والعراقيل في سبيلي حتى لا يتم النجاح الباهر.

ومنهم من ذهب يقلد ويشتبه، ومنهم من يجمع أولاد الجيران والشوارع ويلتقط صورهم أمام السبورة ليرسل بها إلى الدول العربية لنيل المساعدات، فترسل إليهم تلك الدول بمساعدات على حسن ظنهم ورفع كلمة الإسلام، فذابت تلك المساعدات في البلاد كما يذوب الملح في البحار.

ولما انقضى ربع قرن من الزمان على العمل، دعوت من رجوت فيه الخير والإخلاص، ممن يعمل في الحقل الإسلامي، للمشاورة ودراسة المشاكل، لإيجاد الحلول الناجحة لها، فحضر نحو ستين عالمًا من مختلف البلاد خارج نيجيريا وداخلها وألقى كل كلمته ثم ألقيت كلمتي.

●●●

وخلاصتها

إخواني:

لقد رماني قوم بالجهل والغباوة، وقذفني بعضهم بالرجعية والتزمت فالتمست لهم عذرًا، لأنهم قوم أفهم ما يقولون ولكنهم لا يفقهون ما أقول، أرى ما لا يرون، وأعرف ما لا يبالون به، فقلت لهم كما قال الشاعر:

لو كنت تعلم ما أقول عذرتني ... أو كنت أجهل ما تقول عذلتكا

لكن جهلت مقالتي فعذلتني ... وعلمت أنك جاهل فعذرتكا

وقولهم لماذا لم نسند أمر هذا المركز إلى عواتق جمعية؟

فالجواب كما يأتي:

إن الجمعيات الإسلامية لا تفهم العربية ولكنهم عرفوا الإنجليزية وطالما جربوا الجمع بينهما ولم يفلحوا، فكيف نسند إليهم الأمر بعد، ذلك مرة أخرى!؟ ولماذا لم يطالبوا المدارس بفرض العربية فيها بقدر ما يطالبوننا بالإنجليزية!؟

أما إسناد أمر المركز إلى حكومتنا وهي غير مسلمة وكان نصفها مسلمًا ونصفها مسيحيًا فهي التي حاصرت العربية في أضيق الدوائر.

والحكومة تدعي أنها علمانية لا تنصر دينا على دين ومع ذلك تسرحسوا في ارتغاء وتضرب أحماسًا في أسداس لتقتل العربية صبرًا عند البأس وقال شاعر:

كيف أشكو إلى طبيبي مابي والذي بي أصابني من طبيبي

وقولهم لماذا لا نسند الأمر إلى إحدى الدول العربية؟

فالجواب عليه كما يأتي:

إن عمل الدعوة إلى الله ليست بضاعة تعرض على الحكومات العربية لنيل الحظوظ الفانية. وإنما هي وظيفة العلماء لابتغاء مرضاة الله، فيجب على كل عالم أن يؤديها بالإخلاص، ولكن إذا جاءته منها هبة أو صدقة من غير مسألة ولا إشراف نفس أخذها غنيمة أو فيئا يستعين بها على أداء رسالته.

إن الواجب على علماء الإسلام أن يتحمسوا للعربية وأن يعتزوا بها في كل مكان وأن يدافعوا عنها بكل غال ونفيس، وإذا لم يفعلوا ذلك كله فمن يفعله؟!

فما ذنبي إذا قمت أنا بذلك على قدر طاقتي!؟ وإذا لم أعرف الإنجليزية وكنت عرفت العربية فما ذنبي إذا تصديت لتعليمها ودعوت إلى تعلمها؟

أنا لا أعرف الميوعة والمجون والخلاعة والرعونة التي أصابت طائفة من حماة الدعوة، أو بعض العرب في التفاخر بغير لغة القرآن ولغة الإسلام على حين أن كل أمة تفتخر بلغتها.

ولست أدري لماذا انضموا إلى دعاة تجريد العربية عن الإسلام كالمستشرقين أو العلمانيين، كما يقولون إنها لغة أكثر الدول الأفريقية ولم ينضموا إلى من يقول إنها لغة الإسلام. أفلا نسألهم كم عدد ما يحتاجون إليه كل عام في المنظمة ممن يتكلم العربية حتى يقوم على قدم المساواة مع عدد ألف مليون من المسلمين في العالم كله؟

•••

من هو الرجعي ومن هو الجاهل ومن هو الأمي؟

الرجعي: من يتراجع إلى الوراء في أفعاله وأقواله وآرائه على حين يتقدم الناس إلى الأمام.

والجاهل: من لا يعلم ما يجب عليه أن يعلمه من أمور الدنيا والدين.

والأمي: من لا يعرف الكتابة والقراءة في أي لغة من اللغات الحية، بأي حرف من الحروف المستعملة.

رماني قوم بالرجعية وقالوا أنا رجعي لأني أدعو إلى تعلم العربية وحدها دون غيرها.

. فجوابي: إني رضيت بأن أكون رجعياً لأن الرجعيين كثيرون فالرجعية لا تنتهي، فكل من يمشي على قدميه ولم يطر على جناحيه فهو رجعي لأنه يعيش على ما عاش عليه الإنسان الأول، وكل من يقرأ أو يبحث عن تاريخ قومه وأسلافه فهو رجعي، لأنه ينظر إلى الوراء لا ينظر إلى الأمام، وكل من يأكل من نبات الأرض فهو رجعي، لأنه يأكل ما أكل عليه الدهر وشرب، وكل من يستضيئ بضوء الشمس في النهار ونور القمر في الليل فهو رجعي.

ويقذفونني بالجهالة لأني لا أعرف الإنجليزية.

فجوابى على هذا :

أن كل من يعرف الإنجليزية ولكنه إذا دخل بلاد فرنسا وبلاد الألمان والطليان أو بلاد العرب يحتاج إلى ترجمان فهو جاهل ، إنما يجب عليه إن كان عالمًا أن يحيط بجميع اللغات وإلا فرب عالم في شيء فهو جاهل في أشياء فالجهالة لا تنتهى ، قال شاعر :

فقل لمن يدعي في العلم معرفة علمت شيئاً وغابت عنك أشياء

فزعم بعض أنصاف العلم أن كل من لا يعرف الإنجليزية أمي ولو كان يعرف العربية .

فجوابنا على ذلك :

أنه لا تفاضل بين لغة على لغة أخرى في الكتابة والقراءة ، بل الفضل عند أهل الدنيا أن لغة الغالب أفضل من لغة المغلوب من الأمم .

والفضل عند أهل الدين أن لغة القرآن أفضل جميع اللغات لفضل كلام الله .

ويوم كانت العربية لغة العلم والأدب والتاريخ والفلسفة في القرون الوسطى أقبل على تعلمها أهل أوربا ، لأن العرب حينذاك كانوا سادة العالم وقادة الأمم ، ولما تأخر شأن العرب حلت لغات أوربا محل العربية ، فصار العرب أنفسهم يتطلعون إلى اللغات الإنجليزية والفرنسية والألمانية وغيرها .

والغريب: أن الفرس احتفظوا بشرف لغتهم حتى الآن، لأنهم كانوا في يوم من الأيام قادة الأمم.

وأن الترك احتفظوا بعزة لغتهم حتى الآن، لأنهم كانوا في يوم من الأيام سادة العالم.

وأن الروم ظلوا يفتخرون ببقايا لغتهم لأنهم كانوا في يوم من الأيام رعاة الأنام.

فما بال العرب حتى ولو زالت مكانتهم في الصدارة والقيادة اليوم ألم يكونوا أساتذة الدنيا قبل اليوم، فكيف لا يفتخرون بلغتهم العربية.

●●●

الخلاف بيني وبين علماء الإسلام الذين صاروا أبطال الإنجليزية

إذا انقسم المجتمع إلى معسكرين كان لكل معسكر بطل مقدام يقود معسكره إلى الانتصار، لذلك صار للعربية معسكر وللإنجليزية معسكر ولكل معسكر بطل.

ولو وقف الأمر عند أبطال الإنجليزية الذين اشتهروا بها من أول أيامهم لهان الخطب، ولكن الغريب المدهش، أن نجد رجال العربية الذين اشتهروا بها من أول أعمارهم انقلبوا أبطال الإنجليزية فجأة يصفقون لها ويرقصون في ميدانها، لذلك انضممت أنا إلى معسكر العربية وإن لم أكن فيه بطلا فسأظل جندياً مجهولا أصفق وأرقص في حقلها ولكن كما يقول الشاعر:

لا تحسبوا أن رقصي فيكم طربا والطير يرقص مذبوحًا من الألم

أستغفر الله وأحمده وأشكر آباءنا الذين منعونا من دخول المدارس الإنجليزية بل أجبرونا على تعلم العربية مع كثرة مشاكلها وعقباتها وعراقيلها، ولولا عملهم هذا لشغر اليوم المكان الذي شغلناه في المجتمع الإسلامي.

فلا نعود اليوم نندم على ما فرطوا في جنب الله، بل نظل على العهد والميثاق الذي تعهدنا، وهو التزود بالإنجليزية لاستعمالها عند الضرورة، غير التفاخر بها لمباهات الناس أننا راقون مثقفون متحضرون.

وإذا قلنا للذين يلصقون ألسنتهم بالإنجليزية، وكيف تفعلون هذا وأنتم رجال الدعوة؟ قالوا ألم تسمع الحديث القائل: «من تعلم لغة قوم أمن مكرهم». وقوله: «اطلبوا العلم ولو بالصين» هذه الميوعة التي نكرهها للداعية إلى الله.

كما نكره أن نرى إمامًا يؤم المسلمين في الصلوات اليومية والأسبوعية والسنوية، ويتمتع بشرف عظيم بين الجماعة ويعيش عيشة طيبة على هذه الوظيفة، ثم يظهر الندامة على ما يعيش عليه ويأمر أولاده أن يطلبوا لأنفسهم مكسبًا شريفًا آخر.

كما نكره أن نرى عالمًا يكتم اسمه الإسلامي ويشير إليه بالرموز، فيظهر اسم جده الذي ينتمي إلى الوثنية حتى يقال إنه مثقف كسائر المثقفين.

أن والحمد لله، أعرف من اللغة الإنجليزية ما أقرأ به الجرائد اليومية والمجلات، وأستطيع أن آخذ وأرد بها عند الضرورة، ولكن كثيرًا ما أمتنع أن أتحدث بها للتفاخر.

وأكثر تلاميذى دخلوا الجامعات وحصلوا على الدرجات العلمية في الإنجليزية بإذني وتوجيهاتي، ولكنهم قد تبحروا في العربية حسب طاقتهم وعلى ضوء إرشادي.

●●●

obeikandl.com

كل ميسر لما خلق له

لقد خضنا ميدان الصراع بين الطرفين العربية والإنجليزية، وظللنا ننتصر للعربية طوال أربعين عامًا، في ذلك الميدان إلى أن تمت الهدنة، بينهما دون تغلب إحداهما على الأخرى.

ومن دواعي انتصارنا للعربية ما يأتي:

أولاً: اعتقادنا بأن العربية جزء من الإسلام لا يتجزأ لأنها لغة القرآن ولغة العبادات في الصلوات اليومية ونسك الحج السنوية.

ثانيًا: اعتقادنا بأن تجريد العربية عن الإسلام، واعتبارها لغة حية من لغات العالم، مؤامرة يدبرها العدو للقضاء على الإسلام وعلى العربية معا.

ثالثًا: لسنا ندعو كل مسلم إلى التعريب وترك لسان أمته أو حكومته إلى العربية، ولكننا ندعو كل مسلم أن يختار مكانه بين هؤلاء الثلاثة الآتية أقسامهم:

القسم الأول:

قسم من يتعلم العربية لمعرفة ما يؤدي به صلواته اليومية من تهليل وتكبير وتسبيح وفاتحة وسور قصار.

القسم الثاني:

قسم من يتعلم العربية لمعرفة الإسلام وما يلزمه في خاصة نفسه، ويمكن لمثل هذا أن يعتمد على الكتب المترجمة من الإنجليزية وغيرها من اللغات المحلية.

القسم الثالث:

قسم من يتعلمها لتحمل المسؤولية الدينية كالإمامة والقضاء والتعليم العالى في المعاهد والجامعات، وهذا ما يسمى على لسان العصر بالتخصص.

وكل صناعة لا بد أن يمارسها من تخصص لها قبل أن يتصدى لها وينصب نفسه عليها وعليه نص القرآن القائل: ﴿وما كان المُؤمنُون لينفرُوا كافَّة فلولا نَفر من كُلّ فرْقة مِنهُم طَائفةٌ لِيتفقَّهُوا في الدِين ولِيُنذرُوا قومهُم إذَا رَجعُوا إلَيْهِمْ لعلَّهُمْ يحذَرُون﴾ [التوبة: ١٢٢].

فطبق هذه الآية على كل صناعة من زراعة، وحياكة، وخياطة، وغيرها ونحن لسنا نرغم الناس على أن يأتونا لتعلم العربية وإنما دعونا من يرغب في التخصص لها ولم نقل لهم إننا نعلمهم الإنجليزية، فالذين استجابوا وأتونا ليسوا أغبياء وقد عرفوا ما أتوا إليه، وإنما أتوا عن طواعية واختيار لا عن كراهية وإجبار.

فماذا يضرك أنت أيها الحاسد الحاقد؟ حتى صرت ترغي وتزبد وتقوم وتقعد على أننا لم نعلمهم الإنجليزية.

ولقد شرطنا لطلابنا أن يتزودوا بالقدر الذي يكفيهم من الإنجليزية قبل أن يأتونا أو بعد أن يتخرجوا من عندنا، ففعلوا ذلك ونجحوا حتى ظهر نحو ثمانين في المائة ممن تخرجوا عندنا، منهم من صاروا قضاة ومحامين ورجال السلك الدبلوماسي، ودكاتير الجامعات فصار لوم الناس لنا هباء منثوراً.

أما مطالبتنا بالجمع بين التعليم العربي والتعليم الإنجليزي فقد فشل من جربه ولم يظفر منه بطائل، لأن الإنجليزية تطغي دائمًا على العربية، حيث صارت لغة الشارع ولغة السوق ولغة الإدارة ولغة المدارس.

والعربية ليس لها مجال إلا في المدرسة والمسجد لا غير، فعلى من يطالبنا بالإنجليزية في برامجنا العربية أن يطالب بالعربية في برامج الإنجليزية، وإلا فهو ظالم للعربية، فإلى من تشكو أمره وأمرنا سوى الله الحكم العدل.

●●●

تبليغ الدعوة بلغة القوم

يقول المتحمسون للإنجليزية أو الفرنسية إن اللغات الأجنبية فريضة على الدعاة اليوم لأنها أداة لتبليغ الدعوة إلى الله بحجة قوله تعالى: ﴿وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم﴾ [إبراهيم: ٤].

فجوابنا على ذلك: أن على الداعية العربي أن يتعلم لغة غيره قبل تبليغ الدعوة إليه، فإذا كان يدعو إلى الله باللغة العربية في بلاد العرب، فعليه أن يفهم لغة المدعوين من غير العرب ليتمكن من تبليغ الدعوة إليهم.

فالداعية الأعجمي الذي له لغته الأصلية ثم تعلم العربية للدعوة فقد استعد للدعوة في محيطه كالداعية العربي الذي لا يعرف غير العربية وكان يعمل في محيطه في بلاد العرب، ولقد عرفت الإمام الشهيد حسن البنا وهو الألمعي في معرفته لأساليب الدعوة لم يكن يعرف الإنجليزية ولا الفرنسية فهل منعه ذلك من أداء رسالته؟

فليقف كل داعية في محيطه وفي حدود البلاد التي يعرف لغة أهلها، وإذا أراد الخروج إلى غيرها فعليه أن يتعلم لغة أهلها.

فماذا نقول للداعية العربي الذي يعرف الفرنسية ولا يعرف الإنجليزية فهل يبعث إلى بلاد الإنجليز قبل أن يتعلمها؟ فطبق ذلك على عكسه، أم

نطالب الداعية بالإحاطة بجميع لغات العالم قبل العمل الخارجي في الدعوة؟

فاللغات الأفريقية لها أهميتها في بلادها كالهوساوية والسواحلية واليورباوية والفلانية، فإن عدد الذين يتكلمون بها يبلغون عشرات ملايين.

فالمبشرون لا يعرفون التوهين من قدر لغة يتكلم بها الملايين من الناس، بل يتعلمونها ويهتمون بها ويخترعون الحروف لها ليترجموا إليها أناجيلهم وليبشروا بها قومها.

والمستعمرون كانوا يخصصون في جامعاتهم أقسامًا للغات البلاد المستعمرة لهم، وكانوا لا يبعثون إلى مستعمرة غير من يعرف مبادئ لغة أهلها لا فرق عندهم بين كون هذه اللغة راقية أو غير راقية.

●●●

نشر اللغة على يد السفير الروحي والسفير السياسي

المبشرون الصليبيون لهم القدح المعلى في نشر لغة الإنجليز والفرنسيس، ثم جاء المستعمرون بقنصلياتهم وسفاراتهم يعمل جنبا إلى جنب مع الصلبيين، فالتقت الدبلوماسية الدينية بالدبلوماسية السياسية.

ولقد سبق الإسلام إلى هذا الميدان في القرون الوسطى، وكان الدعاة والعلماء هم حملة لواء نشر العربية قبل تأسيس الدول الإسلامية بغرب أفريقيا التي قامت بدورها في هذا السبيل.

واليوم قد احتلت الدبلوماسية أعلى الدرجات في كل مكان، وكانت في الأصل تمثيل سياسي بين الدول الأجنبية، ثم استعملت لمن أتقن صناعة أو تجارة.

وإذا كان السفراء السياسيون يستحقون الصفة الدبلوماسية، فعلى السفراء الروحيين أن يتعلموا كيف يستحلون هذه الصفة لأنفسهم.

وإذا كان السفراء السياسيون يصلحون العلاقات بين الحكومات والدول، فعلى السفراء الروحيين أن يصلحوا بين الأفراد والجماعات والأمم وبين خالقهم ورازقهم.

وإذا كان السفراء السياسيون يتعلمون عادات الأمم وتقاليدهم وآدابهم، فعلى السفراء الروحيين أن يتعلموا كل ذلك عن الأمم التي بعثوا إليها.

وإذا كان السفراء السياسيون ينشرون لغتهم في البلاد التي نزلوا بها، فعلى السفراء الروحيين أن ينشروا لغة الإسلام والقرآن في البلاد التي نزلوا فيها.

فبذلك يكونون أبطال العربية في معسكرها، هذا الذي ادخرته للسفراء في جرابي وفى وطابي.

أما أنتم أيها الدعاة المواطنون سواء من تلاميذي ومن غيرهم فإن ما في جرابي ووطابي هو ما سبق أن عرفتم من أسس دعوتنا ودعائم رسالتنا ويتخلص فيما يأتي:

أولاً: الاعتقاد بأن العربية جزء من الإسلام لا يتجزأ فعلى الداعية أن يتعمق في العربية من أجل الدعوة.

ثانيًا: الاعتقاد بأن الداعية يعمل لله لا لغير الله فأجره على الله فليعملوا بما قال أحد السلف: «طلبنا العلم لغير الله فأبى العلم إلا أن يكون لله».

ثالثًا: أن يحذر الدعاة من الذين يقطعون ألسنتهم بالصدقات والهبات والهدايا، فليذكروا ما قال نبي من أنبياء الله: ﴿**أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَا آتَانِيَ اللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّا آتَاكُم بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ**﴾ [النمل: ٣٦].

رابعًا: أن يعطوا كل ذي فضل فضله من رجال الدعوة السلف والخلف.

خامسًا: أن ينتظموا في سلك واحد، ولا يتفرقوا آحادا، ولا يضايقوا أحدًا في مكانه فيكونوا يدًا واحدة وليكونوا مع الجماعة فإنما يأكل الذئب من الغنم القاصية.

●●●

obeikandl.com